الأهرام

المصدر : الاهرام

التاريخ : ٢٩ ابريل ٢٠٠٠

هل انتصر «النموذج اللبنانى»؟

بعد سنوات حافلة بالتوقعات والاضطرابات من انطلاق عملية التسوية الجارية في مدريد (مؤتمر نوفمبر ١٩٩١) ، يلوح في أفق الأشهر القليلة المقبلة تطوران هما الأقرب الى التحقق: الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، وإعلان قيام دولة فلسطينية بحلول الخريف، وتشير غالبية المعطيات المتوافرة الى أن التطور الأول هو الأوفر حظا، وانه يتقدم أولويات إسرائيل وأجندة عملية التسوية إقليميا ودوليا، خاصة أن غيوم التفاوض المحيطة بالمسار الفلسطيني مع الاقتراب من قضايا الحدود والسيادة واللاجئين والقدس والمستوطنات تجعل الدولة المقبلة وفق الشروط الإسرائيلية محل شك وعدم رضا من جانب الفلسطينيين.

وتكشف هذه الإطلالة على حسابات واحتمالات الاسابيع المقبلة وما تبين من تقدم خارج التفاوض على المسار اللبناني، عن تواضع حصيلة عملية التسوية، خاصة على ضوء ما شهدناه سابقا من توظيف بداية الألفية الجديدة ونهاية ولاية الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بوصف الولايات المتحدة راعية عملية السلام للترويج لايحاء مفاده أننا نوشك على إعلان نهاية الصراع العربى ـ الإسرائيلى .

ومع الأخذ في الاعتبار ما تنطوى عليه مسارات عملية التسوية من جوانب اختلاف وتميز، فإن النموذج اللبناني في التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي، بات يطرح نفسه أمام العرب كي يتأملوه ويستخلصوا منه الدروس والعبر، وذلك على ضوء مقاومة مستمرة منذ نحو ٢٢ عاما، وكان من شأنها أن تسفر عن المعطيات والمؤشرات التالية:

● للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربى ـ الإسرئيلى تطلب إسرائيل الانسحاب من أرض احتلتها وتعلن الالتزام بالقرارات الدولية بهذا الشأن ، وتتعهد بانسحاب كامل حتى الحدود.

● المقاومة مستمرة في عملياتها اليومية ضد قوات الاحتلال وفى ظل ترتيبات الانسحاب ، والأرجح أن يجرى هذا الانسحاب مع استمرار المقاومة ووفق الصيغة التى فرضها اللبنانيون والمقاومة حتى اتمام الانسحاب من آخر شبر من الأرض.

● كانت الحكومة اللبنانية هى أقل الأطراف العربية المعنية بعملية التسوية انخراطا في مفاوضات مع إسرائيل وباتت هى الأقرب فرصا لكي تظفر باستعادة أرضها المحتلة دون إملاءات أو شروط إسرائيلية، وبذلك فإن النموذج اللبناني يمثل استثناء مهما من القاعدة التى فرضتها إسرائيل بشأن ضرورة الاعتراف بها والدخول في مفاوضات ثنائية ومباشرة معها مسبقا وقبل أن تبدأ في تسليم الأرض المحتلة.

● اضطرت إسرائيل والولايات المتحدة الى استدعاء دور الأمم المتحدة للإشراف على الانسحاب والترتيبات اللاحقة له وذلك بعد أن اجتهدت تل أبيب وواشنطن لتأمين تهميش واستبعاد المنظمة الدولية، وبعيدا عن التسوية في الشرق الأوسط وعلى مدى أكثر من ربع قرن كامل، وتحديدا منذ عرقلة انعقاد مؤتمر جنيف الدولى برعاية الأمم المتحدة وإهدار أخر فرصة حقيقية لانعقاده كما كان مقررا في عام ١٩٧٥.

● من الواضح ان الانسحاب سيجرى دفعة واحدة.. وعلى عكس النمط الإسرائيلى السائد والمعروف بفرض انسحابات مرحلية مشروطة بالتزامات عربية أمنية وتطبيعية.

● الانسحاب المطروح في لبنان لن يصحبه أو يسبقه مصافحات تاريخية، واحتفالات إعلامية في البيت الأبيض بواشنطن وهى المناسبات التى طالما جرى استخدامها لإعادة كتابة تاريخ إسرائيل والدور الأمريكى في المنطقة العربية .

من شأن الانسحاب وترتيباته التحول الى نقطة وصل وليس انقطاع مع مختلف مسارات التفاوض الأخرى ومع عمق الصراع العربى ـ الإسرائيلى وفى هذا السياق يمكن قراءة جانب من أبعاد الحديث عن قضية اللاجئين الفلسطينيين ، ونجاح سوريا في تضمين البيان الرئاسى لمجلس الأمن وحول الانسحاب إشارة الى القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ بشأن الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة في عام ١٩٦٧.

ولكل المعطيات السابقة وبصرف النظر عن ملابسات الانسحاب في ظل جمود وتعثر المسار السورى ، فإن النموذج اللبنانى استطاع أن يقدم انتصارا للعرب وبعد أن حققت المقاومة إجماعا إسرائيليا على ضرورة الإسراع بالانسحاب وهو ما عجزت عن تحقيقه جولات لا نهاية لها من المفاوضات وجهود مضنية للمساعدة على بناء حركة سلام إسرائيلية عبر عشرات اللقاءات والجسور.

وتدرك إسرائيل أن الانتصار لمعانى النموذج اللبنانى يحمل لها مخاطر عالية وسيكون له انعكاسات على المجتمعات العربية، ولذا فإن الاسابيع القليلة المقبلة بالغة الحساسية ومن شأنها أن تشهد مساعى ومحاولات لطمس معالم هذا الانتصار والالتفاف عليه، وقد تجد إسرائيل في تغذية التناقضات اللبنانية ـ اللبنانية ، والعربية ـ العربية وتغليبها على التناقض بين إسرائيل والعرب ما قد يعينها على محاولات إجهاض الانتصار في اللحظة السابقة لتتويجه.

كارم يحيى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية